(١٤)
همسات عاشقة

ذهبتْ وعد على الفور إلى شقتها مع مالك بالحي السادس .. دخلتْ مِن الباب فوجدتْ مالك نائما فأيقظته ، وقالت له :

- عندي مفاجأة سارة لكَ

جلس مِن رقدته وابتسم قائلا :

- أخبريني أولا .. لماذا غبتِ عني كل هذه الأيام؟
- السبب هو المفاجأة السارة
- ماذا؟
- سالم زوجي .. مااات

نظر لها باستغراب وقال :

- الله يرحمه .. لكن لماذا أراكِ سعيدة بموته هكذا؟
- ألا تعرف السبب؟ .. أنتَ أيضا لا بد أنْ تكون مثلي

ونهض مِن سريره ، واتجه ناحية زجاجة ماء فشرب ، وهي تتابعه بخطواتها ثم قال :

- أنا لا أفرح بموت أحد يا وعد

اقتربتْ منه وقالت :

- هل نسيتَ أنكَ تريد أنْ تتزوجني؟
- بالطبع لم أنسَ

ونظرتْ في عينيه وسألته مباشرة :

- هل ما زلتَ تريد أنْ تتزوجني يا مالك؟

- طبعا يا وعد

- إذن هذا هو سبب سعادتي لموت سالم .. أننا سنتزوج ليرتاح ضميرك

أمسك كتفيها بيديه وضمها إليه وهو يقول :

- لكن لا يجب أنْ نفرح بموت أحد يا وعد .. هناك أشياء كثيرة عندكِ يجب أنْ تتغير.. ولن أتوقف عنْ أنْ أغيرها يا حبيبتي

وما أنْ سمعت ذلك منه حتى ذابت بين يديه وقالت له :

- يا حبيبي أنا ملك يديكَ .. اعتبرني قطعة عجين لكَ أنْ تشكِّلها كما تريد .. ثم ضعها بفرنك وحدك لتسويها نارك .. ثم كُلْها كُلَّها وحدك .. كُلّي لكَ يا مالك

- ما هذا الكلام الجميل يا وعد؟

- أنا بين أحضانك أقول أحلى كلام

وضحك مالك وهمس في أذنيها :

- أحبك

- أعشقك

قالتها ثم دفعته فوق السرير وألقتْ بنفسها فوقه وهو يسألها :

- كيف مات سالم؟

فقالت بينما كانت تنزع ملابسه وملابسها :

- ليس الآن

ومرَّت أيام العدة ثم عقدا زواجهما عقدا شرعيا عند مأذون دون حفل زفاف ، وسافرا إلى العين السخنة أسبوعين سعيدين ، ثم عادا مِن هناك لتعود إلى عملها في التسول ، وذات يوم قال لها مالك :

- لا أحب أنْ تعملي في التسول .. لذلك أفكر أنْ أعود لعملي

وكان كلامه هذا مفاجأة لها ، فقالت باستغراب :

- أي عمل يا مالك؟

- وعد هل نسيتِ؟ .. أنا طبيب قلب

- والله كنتُ قد نسيتُ

- لكني لا أنسى عملي أبدا

فسألته في حزن غير ملامح وجهها :

- وبعد أنْ تعود لعملك .. هل ستعود إلى أولادك وزوجتك؟

فضحك وقال :

- وعد ماذا تقولين؟! .. أنتِ الآن كل حياتي .. أنتِ مَن أعدتِ لي كامل اتزاني .. أنا لستُ جاحدا للجميل .. لقد عالجتِ كل صدماتي كمن يعالج الشروخ بالذهب فتبدو أجمل .. فكيف أتركِ؟

فراحت تمشط له شعره الناعم وتقول :

- وماذا لو عادت لكَ زوجتكَ حنان نادمة أيها الطبيب الشاعر؟ .. ألن تعود لها مِن أجل أولادك؟

قال لها وهو بشعر بغضبٍ تجاه حنان :

- وعد .. قد عرفت أنَّ الشيطانة حنان وإخوتي وأولادي أغلقوا البيت وهجروا مصر كلها

- أين ذهبوا؟
- سافروا إلى لندن
- ألن يعودوا ثانية؟
- لا أعرف
- وكيف عرفتَ ذلك؟
- عرفتُ وفقط فلا تسألي
- ألهذا تزوجتني؟
- ماذا تقصدين؟
- أقصد أنكَ عندما علمتَ أنهم سافروا تزوجتني لأنه لم يبقَ لكَ غيري

فأمسك بيديها ورفعهما إلى فمه وقبلهما واحدة بعد الأخرى وهو يقول :

- ما رأيكِ أني علمتُ بسفرهم بعد زواجي منكِ؟

فابتسمتْ ابتسامة جميلة وادعة ، وسرى في وجهها حمرة ساحرة ، وقالت له وقد طوَّقت رقبته بيديها :

- يا حبيبي يا مالك .. أنا أعشقك .. آه لو تعلم ماذا فعلتُ مِن أجلك .. وما زلتُ مستعدة أنْ أفعل كل شيء مِن أجلك

وأخذته مِن يده ، وأجلسته على مقعد وقاربت بين رجليه ثم جلستْ وطوقت عنقه وراحت تنقل قبلاتها بين وجهه وعنقه وشفتيه قائلة :

- لي عندكَ طلب وحيد يا حبيبي
- اطلبي يا حبيبتي
- أريدكَ أنْ تؤجل موضوع عودتكَ لعملك
- لِمَ؟

- أغارمِن المريضات اللاتي سيأتين لكَ فتضع يديكَ على قلوبهن
- هذا عملي يا وعد .. وهو مجرد عمل

فقبلته قبلة خاطفة على فمه وقالت بدلال :

- أنتَ طبيب قلب امرأة واحدة يا مالك .. هي أنا وعد المحروس
- أنتِ غيورة جدا يا وعد المحروس
- جدا يا حبيبي .. وكيف لا أكون كذلك وأنتَ عشقي الوحيد؟

وابتسم مالك وراح يمرر أصابعه على شفتيها وأنفها وهو يقول :

- لكنني كرجل لا أحب أنْ أجلس هكذا في البيت وأنتِ تُنفقين عليَّ
- مالك .. سأخبركَ بشيء لا تعرفه عني

وهنا انتبه لها قائلا بسرعة :

- خيرا تفضلي
- هل سمعتَ عن الغجر مِن قبل؟
- الغجر!!
- نعم الغجر
- نعم أظنني سمعتُ
- ماذا سمعتَ؟
- هم أشخاص كل حياتهم مشاكل .. حتى أنَّ الناس عندما تريد أنْ تسبَّ أحدا تقول له .. أنتَ إنسان غجري .. وتلك تصرفات غجر
- وماذا سمعتَ غير ذلك؟
- لا شيء
- هل تأذيتَ مِن أحدهم يوما؟

- لا أبدا والحمد لله
- هل تعرف أحدا منهم؟
- لا

وتركتْ وعد رجليه وجلستْ على مقعد مقابل له وقالت :

- الناس ظلمتْ الغجر كثيرا يا مالك .. كلمة الغجر ليست سُبَّة .. إنما هي مُسمَّى لمجموعات مِن الناس ليسوا كلهم مثيرين للمشاكل .. إنهم ككل أنواع البشر .. منهم السوي ومنهم غير السوي .. منهم الشرير ومنهم غير الشرير

وكان مالك يسمعها باهتمامٍ شديد معجبا مِن طريقة كلامها ، ومتعجبا مِن اهتمامها بالحديث عن هؤلاء الناس والدفاع عنهم .. وقال لها :

- والله معكِ حق .. لكن لماذا تقولين لي هذا الكلام يا وعد؟

فضحكتْ وقالت :

- لأنه في عادات الغجر تخرج المرأة للعمل ويبقى الزوج غالبا في البيت
- فهمتكِ فهمتكِ .. لكن لا تحاولي سأخرج للعمل .. ثم إنَّ هذا عند الغجر وأنا لستُ غجريا .. وأنتِ كذلك .....

وقاطعته وعد المحروس قائلة :

- دكتور مالك يا حبيبي .. أنا لم أخبركَ مِن قبل بحقيقة أصلي
- وما حقيقة أصلك؟
- أنا غجرية

فانخرط مالك في ضحكٍ متواصل ، ووعد تنظر له في توجس تنتظر رد فعله عندما يتوقف عن الضحك ، وتوقف بالفعل ، فوقف وأمسك بيديها وهو يصيح :

- يا الله زوجتي امرأة غجرية .. لكن والله كنتُ أشك في ذلك

وحملها إلى السرير، وألقاها فوقه وهي مذهولة مِن ردة فعله ، وراحت تردد :

- أحبك .. أحبك .. أعشقك

وهمس مالك في أذنها :

- كونك غجرية جعلني أحب كل الغجر .. ما أجملهم جميعا إن كانوا مثلك أيتها الساحرة الطيبة

- مالك انتظر انتظر.. منهم هؤلاء ومنهم وهؤلاء ككل الناس

- لكني أحب كل الغجر

- لِمَ؟

- لأنكِ منهم

فقبلته قبلة طويلة ثم سألته :

- هل ستخرج للعمل يا حبيبي؟

- بالطبع سأخرج ولا تحاولي .. فأنا أريد أنْ أعمل لأنفق عليكِ

- طالما أنتَ مصمم على ذلك فأنا أوافقك يا حبيبي لكن فلتؤجل هذا الموضوع الآن .. أخاف عليكَ مِن مواجهتك للناس وأنتَ ما زلت تتعافى

ومرَّتْ سنوات بعد ذلك اليوم دون أنْ يعود مالك لعمله كطبيب .. كانت وعد في كل إصرار منه على العودة للعمل تجد أكثر مِن ذريعة لتأجيل ذلك .. وما أكثر طرقها الملتوية مِن أجل أنْ تحتفظ به لنفسها فقط بعيدا عن كل العيون!

ولقد كتب الله على وعد أنْ تعيش عشقين ، أولهما لرجل غريب هو مالك الذي صار زوجها ، وثانيهما لابنتها هايدي التي صارت تدير خططها وشرورها على نحو تكون هايدي فيه هي الملكة بدلا منها ، وبالطبع هي لا تنسى الغرس القديم في حديقة الثراء ، بدر ابنها .. قطعا هي تحبه ، لكنها تحرص على ألا تنبش عنه في

داخلها ، فيميل قلبها ضعفا وشوقا له فتجذبه إلي حضنها قبل أنْ تُنضِجَ النارُ الشواء .

قالت لها حبيبتها هايدي أثناء تناول طعام الغداء :

- أخيرا رأيناكِ يا ماما

- أنا مشغولة يا حبيبتي

- أخشى أنْ تنسي حفل تخرج ياسين .. إنه قريب

فقال ياسين بنبرة ساخرة :

- أساسا ياسين ليس على بال أمك نهائيا

ونظرتْ وعد له ثم لهايدي وقالت :

- ألا تعرفان أني أعمل ليلا ونهارا مِن أجلكما؟

قالت هايدي بعرفانٍ وحنان :

- ربنا يعينك يا ماما

وأسرع ياسين بطريقة فيها كثير مِن الاحتقار يقول :

- أنتِ لا تعملين لنا وحدنا .. بل مِن أجل المجنون العاطل أيضا

فقالت بصوتٍ هادىء :

- ياسين أنتَ لا تعرف حقيقة هذا المجنون العاطل

فقالت هايدي :

- أخبرينا أنتِ يا أمي عن حقيقته

- لقد علمتكما في أحسن المدارس وأدخلتما أحسن الكليات لتحصلا على شهادة عالية مثله

ضحك ياسين وهزَّرأسه ثم وجه كلامه لهايدي :

- أمكِ تعلمنا لنكون مجنونيْن عاطليْن تُنفق علينا امرأة

فرمقته وعد بنظرة غضب قائلة :

- المجنون العاطل هذا اسمه الدكتور مالك الأمير.. طبيب قلب

وضحك ياسين بصوتٍ عالٍ ضحكات متقطعة في حين طلبتْ منه هايدي أنْ يتوقف لتكمل أمها :

- ياسين انتظر.. هل المجنون هذا كان طبيبا يا ماما؟

- نعم يا حبيبتي .. وبإمكانه أنْ يعود إلى عمله في أي وقت

سألتها هايدي :

- ولماذا لا يعود؟

- أريده أولا أنْ يتعافى تماما ثم يعود ويكون قادرا على أنْ يندمج مع الناس

فعاد ياسين وضحك قائلا :

- أنا لا أصدق ذلك .. أمك تغارعليه يا هايدي .. النساء ستخطفه منها

ثم وجَّه كلامه إلى وعد قائلا :

- احفظيه في الثلاجة حتى يكون لكِ وحدك .. ثم أَخْرِجي منه قطعة قطعة حسب الطلب

وصرختْ فيه وعد متجهة ناحيته لتضربه :

- ياسين يا كلب اخرس

- هل تريدين ضربي مِن أجل مجنون؟!

- أنتَ زودتها كثيرا ولم أعد أحتملك

-

ونهضتْ هايدي تحجز بينهما وهي تقول لأمها :

- ماما لا تغضبي منه .. إنه يمزح

وتركتهما وعد وهي في أوج غضبها عائدة إلى الحي السادس ، لكنها في الطريق قررتْ أنْ تنعطف قليلا على الحديقة الدولية ثم مكان عملها بإشارة التسول .

وكانت قد طلبتْ مِن يعقوب الأصفر عدم مغادرة مكانه ليسهل عثورها عليه كلما أرادته .. لم ترد أنْ يكون الاتصال بينهما تليفونيا إلا اضطرارا وعلى خطوط مختلفة ليستْ باسمها ، خطوط تغيرها تكرارا حرصا منها ألا يتتبع أحد مكالماتهما .. كانت حذرة جدا لكل خطوة تخطوها في طريق الشر ، لا تترك وراءها ذرة خيط قد يقود إليها ، وإنَّ كثيرين يقولون : " ليس هناك جريمة كاملة " ، لكنني أقول : " بل هناك جريمة كاملة إنْ كانت المجرمة وعد المحروس "

لم تجد يعقوب في المكان المعهود بجانب سور الحديقة الدولية ، فغضبتْ لذلك كثيرا ، وذهبتْ لمكان العمل ، فاطمأنتْ مِن بعيد على سيره كما تريد ، ثم أكملت إلى الحي السادس ، لكنها قبل الصعود للشقة اتصلتْ بيعقوب فجاءها صوته قائلا :

- حبيبتي وعد .. انتظرتكِ كثيرا هناك .. ثم إني لم أسمع صوتكِ منذ فترة

قالت له بغضب :

- يعقوب .. لا تناديني بحبيبتكَ مرة ثانية

- كما تريدين .. سأناديكِ بمعلمتي فهل يروق لكِ ذلك؟ .. يا لحظ الدكتور مالك!

- الدكتور مالك هو زوجي يا يعقوب .. ألم يخبركَ؟
- بلى أخبرني يا معلمتي .. أنا أقابله كثيرا بين وقت وآخر
- أعرف ذلك .. الأهم أين أنتَ الآن؟
- في الدنيا الضيقة
- كُنْ في أي مكان .. ما يهمني أنْ تكون في المكان المعهود مساء الغد
- هل هي مهمة جديدة؟
- أجل
- ما نوعها؟
- مهمة قتل
- مَن؟
- ابني